

زمان غربيته

من مذكرات أبينا

القمص ميفائيل سعد



الحمد لله الذي جعلنا من

في القديس الذي من هذا القرن العشرين، وما قد
رغمه، ولنا أسعد آمالك بالعمد والشكر، ما ردد مع
حكمت يديك المعنى. برأيتك تبهديني وبهد إلى

مملته من ذكر بك، وهي تمر أماسي كطيف
لها عنرا أنا يناسبها الا قرك مرسى رئيس
بدون، بركت السماء نوح معرفتك والقمام
سيرة من نعمت، (ك ٢٢، ٢٦، ٢٧)

يوم الجمعة ١٩ من فبراير ١٩٠٩ الموافق ١٢

١٦ للشهداء الأبرار.

وما سعيد بهنا التوقيت لأن الاسكندرية هي بالكونة كرازة القديس مرقس
الرمول بارض مصر ولأن منتصف نهار يوم الجمعة هو الموعود التي صلب فيه
مخلصنا الصالح وصنع نداء العالم ولأن الثاني عشر من الشهر القبطي هو تذكار
رئيس الملائكة ميفائيل... وهو صاحب الاسم الذي حملته عند دعوة الكهنوت.





كنيسة

العدراء والقديس يوسف
سموحة - اسكندرية

زمان غربيته

من مذكرات أبينا الحبيب

القمص ميخائيل سعد



قراءة البابا شنودة الثالث
يقوم بتدشين مذابح الكنيسة في يوم الأحد ٢٧/١٠/١٩٩٦

باسم الاب والابن والروح القدس الله الواحد امين

الحمد والشكر لله :

اشكر ربي لأنى ولدت فى العقد الأول من هذا القرن العشرين، وها قد وصلت بنعمتك إلى العقد الأخير منه، ولذا اسجد أمامك بالحمد والشكر، وأردد مع المرنم قائلاً « لكنى دائماً معك. أمسكت بيدى اليمنى. برأيك تهدينى وبعد إلى مجد تأخذنى » (مز ٧٣ : ٢٣)

ذكریات وصور متلاحقه :

أذكر هذه العشرات من السنين وما حملته من ذكریات، وهى تمر أمامى كطيف عابر، بعضها عام والآخر خاص ولم أجد لها عنواناً يناسبها إلا قول موسى رئيس الأنبياء فى نشيده « ليس مثل الله يایشورون، يركب السماء فى معونتك والغمام فى عظمتة. الاله القديم ملجأ والاذرع الأبدية من تحت » (تث ٢٣ : ٢٦-٢٧)

الميلاد بالاسكندرية :

ولدت بمدينة الاسكندرية ظهر يوم الجمعة ١٩ من فبراير ١٩٠٩ الموافق ١٢ من شهر امشير عام ١٦٢٦ للشهداء الابرار.

وأنا سعيد بهذا التوقيت لأن الاسكندرية هى باكورة كرازة القديس مرقس الرسول بأرض مصر ولأن منتصف نهار يوم الجمعة هو الموعد التى صلب فيه مخلصنا الصالح وصنع فداء العالم ولأن الثانى عشر من الشهر القبطى هو تذكار رئيس الملائكة ميخائيل... وهو صاحب الاسم الذى حملته عند دعوة الكهنوت.

الوالدان :

والدى هو المرحوم سعد ابراهيم ابراهيم الاعسر : من بلدة الصافية مركز دسوق محافظة الغربية، وهى بلدة تقع على النيل ولم يكن بها آنذاك إلا عائلتين مسيحيتين فقط واقرب

كنيسة لها موجودة في كفر الخير.

ولد والدي في هذه البلدة عام ١٨٦١ ميلادية وتعلم القراءة والكتابة ثم اتقن الحسابات باجتهاده الشخصي مما أهله لمسك حسابات «مصلحة الدومين» سابقاً والآن «مصلحة الاملاك الاميرية» وكان اول مرتب له هو «بنتو» او ما يعادل خمسة وسبعون قرشاً. ولكن بجانب هذا قدمت له المصلحة جاموسة للحليب وخادم والحبوب والخضروات والمسكن مجاناً. وكان هذا ببلدة سخا التابعة لكفر الشيخ.



واذ عرف بتمكنه في الاعمال الحسابية دعى للعمل بمدينة الاسكندرية بدائرة مكس دبانة وهي إحدى المؤسسات الرأسمالية الكبيرة ولها شارع معروف باسمها. كان هذا في بداية القرن العشرين، ثم انطلق إلى الابدية في عام ١٩٤٠ عن ٧٩ عاماً رحمه الله رحمة واسعة وعوضه عن تعبته لأجلنا بالأجر السماوي.

أما والدتي فهي المرحومة اجيه عازر موسى من رشيد : تزوجت عام ١٨٨٤ وانطلقت إلى الأبدية عام ١٩٣٣. وقد حزننا عليها حزناً شديداً وبكىتها بمرار قرابة ستة شهور.

وكانت رحمها الله تميل إلى البساطة كشأن نساء جيلها وتحب النظافة أما الاتضاع فكان شيئاً طبيعياً في حياتها.

وأذكر لها من صور اتضاعها... انه كان في بعض المناسبات يجتمع في بيتنا 4 عائلات وتعمل لهم وليمة... وكانت تؤخر جلوسها معهم على المائدة... وفي النهاية تجمع الخدم وتجلس تأكل معهم بكل بساطة أو طفولة.



الهجرة من الاسكندرية إلى الريف :

فى عام ١٩١٤ قامت الحرب العالمية الأولى واشتد الغلاء، بجانب أخطار الحرب على المدن، فقام والدى بشراء ١٧ فدانا بعزبة قريبة من دمنهور وأقمنا مسكنا. ونزحت الأسرة إليها وعشنا هناك حتى انتهت الحرب عام ١٩١٩ ثم عدنا إلى الإسكندرية، وكان عمري وقتها عشر سنوات. تعلمت فيها القراءة والكتابة والحساب، وتعلمت عن والدى حبه للكتاب المقدس، فقرأت وفهمت منه على قدر ما وسع ادراكى فهمه.

فى هذه الفترة من (١٩١٤ - ١٩١٩) بدأت علاقتى بالله تتكون. فكنت أصلى « أبانا الذى ثم صلاة الشكر. ثم المزمور الخمسين » فى طريقى من البيت إلى الكتاب ثم أيضاً فى العودة.

وحدث أن والدى أهدانى كراسة خط جميل مكتوبة بيد نجيب بك هواوينى، خطاط عظمة السلطان حسين كامل، وأوصانى بتقليد الخط ما أمكن، ولكن واحداً من صبية الفصل غافلنى وسرقها، فحزنت عليها وعدت إلى المنزل ولم أقل لأحد.... وفى حلم بالليل رأيت الولد الذى سرقها يكتب فيها... وفى الصباح ذهبت إلى الكتاب وقلت للمعلم الخبر.. فقال انتظر ولا تتكلم، واثناء حصة الخط فتش المعلم حقيبة الولد ووجد بها كراسة الخط - فسلمها لى بدون مناقشة.

بداية التفتح لحقائق الإيمان :

جلست مرة مع والدى اتفهم بعض الحقائق الايمانية.... قلت له أنا أسف، لأنى فهمت أن الله أرسل موسى لليهود وأرسل المسيح للمسيحيين ثم محمداً للمسلمين، ولكن المشاهد أن هؤلاء تركوا ربنا وانشغلوا بالمرسلين، وعند ذاك بدأ والدى يشرح لى حقيقة المسيح بالقدر المناسب الذى أعياه.



كان هذا بالنسبة لى «ركوب قطار الايمان فى طريق الحياة» ونبتت فى حياتى البذور الآتية:

- ١ - محبتى للصلاة بمتعة خاصة اثناء سيرى فى الطريق.
- ٢ - ارتبطت بالكتاب المقدس حسب الصورة اليومية التى رأيت والذى عليها.
- ٣ - تفهم حقيقة المسيح أكثر فأكثر.

العودة إلى الاسكندرية :

بمجرد انتهاء الحرب باع والدى الأفدنة والمنزل بمبلغ الف جنيه وعدنا إلى الاسكندرية فى عام ١٩١٩ وعشنا حياة مناسبة بحى راغب باشا وفى نفس الوقت وجد والدى عملاً حسابياً باحدى الدوائر الاجنبية بمرتب قدره عشرة جنيهات زيد إلى ١٢ جنيه ثم إلى ١٥ جنيه نظراً لبراعته فى الأعمال الحسابية وأيضاً اخلاصه.

التعلم بالاسكندرية :

فى ذاك الوقت (١٩١٩) عند قيام الثورة المصرية بقيادة «حزب الوفد» وبزعامة سعد زغلول قامت المظاهرات العنيفة واضطربت البلاد وزاد النهب وتعطلت المواصلات والمدارس، وكان الطلبة يمثلون عنصراً بارزاً فى المظاهرات وكان سعد زغلول يقول : الطلبة جنودى.

عندئذ رأت الأسرة إلحاقى بمدرسة أجنبية لانتظام الدراسة بها وفعلاً ألحقت بمدارس الفرير. وكان هذا بترتيب من الله من أجل بنائى الروحى، اذ كنا نحضر الصلاة بكنيسة المدرسة مرتين أسبوعياً كما كنا نبدأ الدراسة ونختمها بالصلاة. وفى كل نصف ساعة كان يدق جرس خفيف فننتوقف عن الدرس ثم يتلو الطالب الأول هذه العبارة: لنضع أنفسنا فى حضرة الله . ويجيب جميع طلبة الفصل: لنعبده .

وكانت كلية سانت كاترين هى قمة التعليم الفرنسى بالاسكندرية لهذا بعد اتمام الدراسة بها التحقت بدراسات المحاسبة التابعة للوزارة وبعد أن انتهيت منها بدأت عملى الوظيفى.

ولا يفوتنى أن اسجل هنا وبكل تأكيد اننى انتفعت فى فترة تعليمى بمدارس الفرير :

بالاحترام الشديد للهدوء والنظام والترتيب مع النظافة، أما الخشوع والهدوء أثناء العبادة فكان أمراً طبيعياً وعزيراً على، اذكره بأسف شديد كلما تعثرت بصورة مغايرة بين شعبى.

الانفتاح على المعرفة الروحية :

فى طول مدة الدراسة - أشكر الله - كنت ملتفتاً إلى واجباتى الدراسية، وكانت سهلة أمامى لأنه لم تكن عندى أية هواية خاصة..

واذ كنا نسكن فى حى راغب باشا وكانت جمعية الثبات القبطية قريبة منا، وبها مدرسة ابتدائية صباحاً واجتماعات وعظ ودرس الكتاب مساءً. وكان الواعظ «يوسف أفندى» (الذى رُسِم كاهناً على الكنيسة المرقسية عام 1924) هو المسئول عن هذه الاجتماعات، إذ كان مقتدرًا فى حفظ أهم آيات الكتاب المقدس مع تفهم معانيها.

انتظمت فى اجتماع درس الكتاب مساء كل ثلاثاء وأحببته لأن التفسير كان جديداً على وكنت اتقبله بشغف... وكان الاجتماع لا يتجاوز الخمسة عشر شخصاً، وكان من بين الحاضرين الشاب «عازر يوسف عطا» (الذى صار فيما بعد البابا كيرلس السادس) الذى كان قليل الكلام... يدخل ويخرج دون ان يشعر به أحد.

التدريب على الخدمة :

ثم شرع يوسف أفندى الواعظ كما كنا ندعوه... فى تدريبنا على الخدمة بالاحياء البعيدة وذلك باجتماعات «مفاوضه» وهو يختار موضوعاً ويشرحه لنا ثم يتركنا للصلاة والدرس لمدة أسبوع ثم ينتدبنا للتكلم لمدة ربع ساعه وفى النهاية كان يعقب على ما قيل.

وأذكر - رغم حداثة سنى انه كلفنى مرة باختيار موضوع كما احب.. فأخترت موضوع «الغيره المقدسة» وتكلمت عنه.. وكان تعقيب استاذى يوسف أفندى بالآتى: هذا الطالب عمره 13 سنة ودعم موضوعه باثنى عشر آيه.. وانا أفرح لأنه ثمرة طيبه لهذا الاجتماع...
يارب لك الحمد.

حضور اسكندر حنا إلى الاسكندرية :

فى نحو عام ١٩٢٢ سرى الخبر بين الاخوة المحبين لكلمة الله أن شخصاً اسمه «اسكندر حنا» باشكاتب العقارات حضر إلى الاسكندرية من السويس وهو واعظ روحى قدير.... الخ نكتفى بهذه السطور لمجرد الإشارة... وقد أفردنا باباً خاصاً لهذا الموضوع لأهميته.

حتى عام ١٩٢٧ :

استمر الحال رتيباً بين الدراسة والكنيسة والخدمة.. واشكر الله أن ما كان أحداها يتعارض أو يعطل الأخرى...

ففى الدراسة لا اذكر اننى رسبت مرة واحدة وكان ترتيبى فى الفصل لا يتجاوز السادس وفى الكنيسة كنت اواظب بشوق واهتمام وأنصت واتعلم وارقب الامور عن قرب.

وفى الخدمة كنت مع بعض الخدام نتجول فى الاجتماعات بلا نظام.. ما بين أحياء راغب باشا وكرموز وغيظ العنب والقبارى والمكس ووادى القمر... هذه هى الاحياء التى كان يعيش فيها أغلب الأقباط... أما أحياء محرم بك والرمل فكانت شبه مجهولة حتى عام ١٩٣٥، ولا يسكنها الا بعض الاعيان أو كبار الموظفين، وكانت شهرة حى الرمل قائمة على أن جلالة الملك فؤاد الأول ابتنى له قصراً عظيماً فى جهة المنتزة على البحر.

ما بين عامى ١٩٢٧ - ١٩٤٧ الوظيفة :

اذكر هذه الحقبة الجميلة من حياتى من سن ١٨ - ٣٨ - اذكرها بمراره بالغة.. كيف وهى زهرة العمر تضيق فى وظيفة بالية...

بدأت خدمتى ببلدة دمنهور... وكان العمل ثقيلاً على نفسى لأن محبتى للخدمة كانت كل شهوة قلبى.



واذكر اننى توقفت مرة على السلم وأنا صاعد للعمل وقلت بتنهيد شديد : ما قيمة هذه الوظيفة يا رب وأنا غائب عنها بقلبي... ما ابعد أحكامك يا رب عن الفحص »

من جهة العمل كان شاقاً وكنا نسهر حتى ساعة متأخرة وكان الرؤساء يميلون إلى السيطرة العنيفة.... لكن الذى كان يهون علينا الحياة والعمل هو زمالة الموظفين التى كانت تتسم بالموده والمرح.

والشئ الذى كان واضحاً كالشمس أنه ما كان يخطر ببالنا فكر أن هذا مسلم أو ذاك مسيحى. وكنا نترامل ونختلط ببعض على أساس الميول والذوق والعادات، أما الدين فلم يكن له ابداً أى أثر فى علاقاتنا.... بل بالعكس كان بعض المسلمين يجدون راحتهم النفسية مع زملاء مسيحيين والعكس.

ما بين عامى ١٩٢٧ - ١٩٤٧ الخدمة :

بدأت خدمة مدارس الأحد بكنيسة الملاك بدمنهوور.... ولم تدم أكثر من شهور، لأن الكنيسة لم تفتح ابوابها للأولاد.... ولم تكن لى قدرة على نقلها إلى مكان آخر لأن هذا كان بمثابة مناوئه لسلطة الكنيسة.... وأنا أخشى الكهنوت.

ثم فتح الرب باباً للخدمة فى حى ناء فى طرف المدينة اسمه « جرن ابو الريش » حيث إن انساناً كريماً فتح بيته للاجتماعات الروحية.... وكان كل الحاضرين من الاخوة العمال الصاعدين.... ثم نمت الخدمة واشتريت قطعة ارض وبنيت وصار الاجتماع ثابتاً.

ثم حضر إلى دمنهور صديق هو الاستاذ يعقوب بطرس « مدرس » وشجعنى على افتتاح فرع لجمعية أصدقاء الكتاب المقدس... وقال أن الجمعية المركزية ستمدنا بالخدام والمطبوعات. فقبلت بعد تردد لأسباب جانبية.... وفعلاً افتتح الفرع... واستأجرنا مكاناً مناسباً بـ ١٢٠ قرشاً فى حى « العبارة » ونشطت اجتماعات الرجال والسيدات وأيضاً خدمة مدارس الأحد.

ثم حضر الاستاذ عياد عياد ومعه الاستاذ حافظ داود « فيما بعد القس مرقس داود » وهما المسئولان الاولان بالجمعية المركزية بالقاهرة... لإلقاء بعض العظات.

وزاد إقبال الشعب وانتعشت الخدمة... وتدخل بعض المحبين وفتحت الكنيسة وبها القيت العظمت. وهذه نعمة عظيمة من الله.

أمام هذه الروح الجديدة بدأ الناس ينتبهون إلى الخدمة ورسالة الانجيل ويعيشون فيها بقلب طيب.. والبعض الآخر نظر إليها بتحفظ ثم بتذمر ثم بهجوم.

وعلى أثر هذا قام أحد الرؤساء «وكان مع الأسف مسيحياً» وكتب مذكره ضدى ذكر فيها إننى اعمل فى التبشير، وكانت كلمة تبشير فى ذاك الوقت أخطر تهمة توجه إلى أى موظف مسيحى.. وأننى اشتريت أتانا «حماراً» للتجول بين القرى.. الخ ولا أعرف كيف ألف هذا الخبر المضحك!..

ما بين عامى ١٩٣٥ - ١٩٤٦ تنقلات عشوائية

زاد الضغط، ولم يكن عندى ما أدافع به عن نفسى، الا أن أقوم بواجبى فى العمل كما يجب لكن لم يكن هذا هو كل المطلوب.

وأخيراً تعقدت الأمور وبدأت سحابة قاتمة.. ونشطت فكرة اقتلاعى من دمنهور إلى إحدى مراكز المديرية.. وفعلاً تم هذا واستمر التنقل من مركز إلى آخر حتى بلغت مرات التنقل خمس مرات.

ومن شدة الحرص على محاصرتى كانت الاشارات التليفونية والمكاتبات تلاحقنى لكى أكون تحت الملاحظة...



وفى إحدى البلاد التى نقلت إليها جاء إلى المكتب أحد الضباط بدعوى السلام على... ولكن فى ضميره ليرى الانسان الموضوع تحت الملاحظة... وبسرعة دخل معى فى حوار عن أهمية شخص ربنا يسوع المسيح الكلمة المتجسد.. عن سائر الانبياء.. وكان موضوعاً سهلاً للغاية، لأن الشمس الساطعة لا تحتاج إلى برهان... ولما سمع بما فيه الكفاية... خرج صامتاً لا يتكلم...

أما الأمر الذى أذكره بكل تدقيق، وهو الذى كان يهون على هذه المتاعب... العلاقة الطيبة المتسمة بالموده والصفاء بينى وبين كل الزملاء المسلمين رغم علمهم بوضعى، فكنا نأكل ونتسامر ونتريض ونتفاهم دون أدنى مفهوم خاطئ...

وأخيراً شاعت العناية الالهية بتثبيتى فى مدينة الاسكندرية اذ رسمت كاهناً فى يوم الخميس ٨ مايو ١٩٤٧ وهو تذكار استشهاد القديس مرقس الرسول الكاروز الشهيد الطاهر.

الرغبة فى الترهّب :

فى الفترة بين سنوات ١٩٢١ حتى ١٩٣٣ ... كنت متعزياً بكلمة الله والكنيسة والخدمة... وفى نفس الوقت كنت أحب كثيراً الشكل الرهبانى.... ولهذا كنت أتردد على الدار البطريركية بالاسكندرية، وأجلس مع الآباء الرهبان الأربعة الذين كان يأتى بهم المتنيح الانبا يوانس المطران للدراسة بالاسكندرية.... واذكر منهم أبونا مكارى الانبا بيشوى الذى صار مطراناً للمنوفية بأسم أنبا ديمتريوس وأبونا بشارة البرموسى الذى صار مطراناً لأبوتيج ثم الراهب متياس البرموسى... الخ وكنت اذوب شوقاً عند سماعى لأحاديثهم عن الأديرة والحياة الرهبانية.

وبهذا تكون عندى مبدأ الرهبنة واشتقت إليها من كل قلبى....

ثم جاء عام ١٩٣٣ وتوفيت والدتى فحزنت عليها وبكىتها كثيراً ثم امتلأت نفسى بالرغبة الملحة فى تنفيذ ما اشتقت إليه.

وبوساطة أبونا بشارة البرموسى وكيل البطريركية حظيت بمقابلة نيافة المطران الانبا يوانس للأذن بزيارة دير البرموس **وفى نيتى البقاء فى الدير للترهّب.** فسألنى أبونا المطران :

هل والدك يعيش؟... قلت نعم

هل والدتك تعيش؟.... قلت الله يرحمها

هل والدك تزوج بعد والدتك؟... قلت والدي شيخ ولم يتزوج.

وبعدها قال بحزم: روح خذ بركة والدك أفضل من الرهينة.

قبلت هذا التوجيه بالصمت وبدون مناقشة، لأننا كنا في ذلك العهد لا نجسر على مناقشة الآباء العظام بل نقبل كلامهم كأنه من السماء.

وكان حاضراً القمص بشارة البرموسى وكيل البطيركية، فطلب من المطران أن يأذن لى بزيارة الدير... فرد عليه: اعطه كارت توصية للزيارة والعودة... انتهى



زيارتى الأولى للأديرة بوادى النطرون عام ١٩٣٣ :

فى شهر يوليو ١٩٣٣ أخذت اجازة اسبوعين وتوجهت لزيارة الأديرة، فوصلت بالقطار إلى محطة الخطاطبة ظهراً وتعرفت على باسىلى أفندى وكيل التلغراف الذى اركبنى القطار الصغير المكون من عشر عربات تسعة منها لنقل الفحم إلى الهوكريه والعربة الأخيرة للركاب.

جلست فى هذه العربة مع بعض العمال وكان معنا راهب حبشى يدعى Tefa Marian أى عبد مريم. وأستمر القطار يسير بنا من الساعة الثالثة عصراً حتى - الحادية عشر مساءً، واذ كانت الطريق أغلبها مرتفعات ومنخفضات.. كانوا يلزموننا بالنزول عند بداية المرتفعات لكى تخف الحمولة عن القطار.

وصلنا إلى الهوكرية نحو الساعة الحادية عشر مساءً ثم توجهت إلى منزل «حسن الجزيرى» حيث افهمونى بأنه الشخص المكلف بتوصيل الزائرين إلى الدير.

استقبلنى الرجل بالترحاب. ووجدت معه زوجته الضريرة... وكانت طبخت سمكاً بالفرن

وقدمت العشاء... ثم نمنا قليلاً نحو ساعتين على حصيرة ووسادة. ونحو الساعة الثانية صباحاً أيقظنى الرجل وقال من الأفضل أن نبدأ طريقنا من الآن إلى الدير قبل شروق الشمس واشتداد الحرارة... فوافقته أركبني «حسن الجزيري» على دابته ومشى بجوارى يحدثني عن أحوال الرهبان كأنه واحد منهم ولما وصلنا إلى دير القديس الانبا بيشوى، بعد ساعتين، ضرب الجرس وجاء أحد الرهبان وقال مين؟... فرد حسن الجزيري وقال «أنا حسن» ومعى ضيف من الاسكندرية فرد الاب الراهب مرحباً... ثم ذهب واستأذن امين الدير، وفتح الباب ودخلت الدير لأول مره.

ورغم حداثتى فقد استقبلنى الأب الشيخ القمص بشاى أمين الدير والآباء الرهبان بكل محبة وقلب طيب.. واذكر الأب الراهب عبد المسيح المليجى الذى حضر لتوه ومعهُ كمية من البطيخ نحو ملء عربة سكة حديد صغيرة... ولما كسرت منه بطيخة، عز عليه أن يأكلها وحده فحملها من الهوكريه إلى الدير ليأكلها مع أخوته. وكانت سمات الطيبه على وجوههم وكأنهم أطفال أبرياء، وكانوا بحق فقراء فى المسكن والملبس والمأكل، وكان عددهم لا يتجاوز العشرة، ومساحة الدير فدانان و١٦ قيراطاً.

ونحو الساعة الخامسة صباحاً بدأ القداس الالهى فى كنيسة الدير الجميلة ذات القبو الواحد المستطيل باسم القديس الانبا بيشوى؟

وفى المساء تلينا جميعاً المزامير ثم خرجنا نتمشى فى الوادى الفسيح قبالة باب الدير البحرى.

وفى الوادى التقينا بالآباء رهبان دير السريان وكون الاثنان حلقة كبيرة على الرمال... وكانت الأحاديث عذبة والأخبار طيبة والسماء صافية والقمر ساطع بنوره الهادى... أما أنا فكانت غائباً حتى عن نفسى «مبارك يارب هو اسمك العظيم القدوس».



هنا أقف قليلاً لأعبر من مشاعري بخفقات قلبي، عندما كان القطار الصغير يسير بهدوء في البرية أو بسرعة ستة كيلو في الساعة كنت اتخيل هذه البرية وقد امتلأت بطوائف السواح والنسائك المجاهدين الذين سبقونا... وما كنت انظر إليها أنها برية بل جنات وفراديس كلها أشجار محملة بالثمار الشهية، قدمتها الكنيسة العروس لفاديتها ملك الدهور على مر الأزمنة وهي تنشد :

« ليأت حبيبي إلى جنته ويأكل ثمره النفيس » (نش ٤ : ١٦)

وهكذا كنت أرى وبهذا كنت أسعد حينما أعيش مع آباء البرية الذين مازالت انفسهم تعبق الوادي...

دير القديس الأنبا بيشوى فى نهاية القرن العشرين

طففت بأرجاء الدير بصحبة أحد الآباء الرهبان... وكانت القلالي قديمة جداً وحالة الآباء تنم عن الفقر الحقيقي واقرب تعبير عنهم هو : « كمائتين وها نحن نحيا » وصعدت إلى أعلى الحصن الكبير حتى وصلت إلى كنيسة الملاك ميخائيل، واذ كنت تعبت من المشى والصعود بالاضافة إلى الليالى الماضية التى لم أنم فيها إلا ساعتين... عندئذ أحسست بحاجتى الشديدة إلى الراحة فجلست بجوار النافذه البحرية لكنيسة الملاك ومنها رأيت البرية... بجمالها... وهدوئها.... ونسيمها الرقيق.

وكان الدنيا كلها بالنسبة لى جمعت فى هذا المكان الملىء بالسلام فاسترحت واسترخيت ثم غلب على النعاس ولما استيقظت أحسست بالأذرع الابدية تحملنى إلى أشهى المراعى.



دير السيدة العذراء «السريان»

وفي اليوم التالي قادني أحد الآباء الرهبان، فبلغت دير السيدة العذراء، «السريان» ضمنى، ورحب بي الأب القمص روفائيل أمين الدير والقمص صموئيل تاوضروس ثم استراحة قليلة بعدها زرت الكنيستين الكبيرتين ثم كنيسة صغيرة تسمى كنيسة الاربعين.. ثم عصراً زرت كنيسة الملاك ميخائيل، بأعلى الحصن الكبير. واتساع الدير يبلغ فدان، ١٣ قيراطاً.

أما قلالي الآباء الرهبان، فرغم أنها تبدو متقدمة نوعاً عن قلالي الدير السابق، إلا أنها تحمل طابع النسك التام وعدد الرهبان نحو خمسة عشر.

قضيت بهذا الدير ثلاثة أيام كلها هناء وراحة بال، وكان الآباء وأولهم القمص صموئيل تاوضروس يقضون سهره طويلة إلى ما بعد منتصف الليل في بيت الضيافة... وكانت الأحاديث تدور أغلبها حول شئون الكنيسة والأمال في غد أفضل... وما كانوا يدرون أن هذه الامال ستتحقق يوماً ما، ويكون هذا الدير مبعثها.



دير السيدة العذراء «برموس»

بعد هذه الفترة توجهت إلى دير السيدة العذراء «برموس» ورافقني في هذه الرحلة الأب القمص صموئيل تاوضروس السرياني... ولم تكن الطريق معبده بعد، لكنها كانت معروفة، وهي تمر بوديان ومرتفعات... قضيناها نحو ساعتين ركوباً على أتانين شديدين.

وصلنا إلى الدير العامر ودق الجرس وفتح الباب.... وتوجهنا لمقابلة أمين الدير أبونا القمص باسيليوس، وكان انساناً قوى الشخصية يدير الدير بحزم.. وبعد السلام والتعارف قدمت له كارت الاب المطران فقبله ووضعها على رأسه.

اعطونا غرفة للمبيت في بيت الضيافة ثم زرنا الكنائس وبعض القلالي.... ومما لاحظته في هذا الدير العامر كثرة عدد رهبانه عن الديرين السابقين اذ كانوا يصلون إلى الخمسة والاربعين... وكلهم بدون استثناء يحضرون معاً صلاة المساء وقداسات الصباح... ولم يكن احد يتخلف البتة.

وكان الدير نظيفاً جداً وكل ما فيه مرتب وكل الآباء الرهبان ملتزم بواجبه، وكانت القداسات اليومية تصلى بكنيسة القديس يوحنا المعمدان... أما كنيسة العذراء وهي أقدم كنائس البرية، فكان يصلى بها في المناسبات.

آباء وشيوخ قديسون بدير البرموس :

والأمر الأول الذي شدني للتعلم بهذا الدير هو مجموعة الآباء الرهبان من الشيوخ القديسين، الذين اذكر باعتراز أنني جلست معهم واستمعت اليهم وأخذت بركتهم وهم:

١ - أبونا القمص عبد المسيح صليب المسعودي البرموسي : واضع كتاب تحفة السائلين وذكر أديرة رهبان المصريين عام ١٩٣٢م ١٦٤٨ ش وكان راهباً تقياً ورعاً وعالمأ فاضلاً.

وكان من عادة رهبان هذا الدير أنهم بعد القداس الالهى يجلسون على السلم الخشبي لدار الضيافة وفي وسطهم هذا الأب الجليل يحدثهم بما من الله عليه من نعمة ومعرفة... وكان صوته رقيقاً ناعماً.. وأشكر الله أنني نعمت بهذه البركة على مدى عشرة أيام.

٢ - أبونا القمص عبد المخلص الحبشى... كان شيخاً قديساً أصيلاً ومتوحداً فى قلايته لا يخرج الا نادراً للصلاة والتناول من الاسرار المقدسة.... ولا يدخل قلايته الا راهب واحد اختص بخدمته.... واشتاقت نفسى لزيارته فقيل لى أنه لا يقابل احدا... ثم توسلت الى الراهب الذى يخدمه.. وعلى خلاف العادة أذن لى بالزيارة.... وفى الميعاد المحدد توجهت اليه ودخلت القلاية الضيقة... ومد يده بتحفظ حرصاً عليها من تقبيلى لها... ولكن تشبست بها وقبلتها وأنا مشفق عليها لأنى وجدتها رقيقة جداً وناعمة، وقد استبد بها النسك الشديد فغابت عنها الهيولى.

تأملت وجهه الهادى وكلماته القليلة الرقيقة التى لا تسمع الا بانصات شديد.. فصغرت فى نفسى وشعرت بضآلتى وأحسست بأننى أمام شخص نورانى من عالم روحانى غير عالمنا.

وقد جرى حديث مقتضب بيننا عن الرهبنة وعرضت عليه برغبتى... إلتماس بركته فلم يرد على بكلمة وصمت.... ثم اذ كنا نجلس على الحصى وبيننا طبلية عليها طبق به عنب... عزم على وقال تحب العنب عصير أو كما هو... قلت.... كما هو فقدم لى العنب فأكلته كما هو أما هو فعصر الكمية الاخرى وشربها... ثم اردف قوله : هى دى يا بنى الحياة مع المسيح، البعض يحبونها على طبيعتها ويأكلونها حباً ولعلك منهم..... والآخرى يفضلونها عصيراً... وأهو يا بنى كله عنب.

أمام هذه المهابة الروحية التى اسبغها الله على هذا الشيخ القديس... بل وأمام هذه الاجابة العملية الشبيهة بالأمثال التى كان يتكلم بها الرب يسوع له المجد.. أمام هذا صمت ولم أناقش والتمست منه البركة فصلى لى وقبلت يده وأنصرفت.

٣ - أبونا القمص يعقوب البرموسى . شقيق أبونا عبد المسيح المسعودى : كان شيخاً قديساً صامتاً يخدم نفسه بنفسه.... ومعروف عند كل أباء الدير بروحانيته وزهده... وقد لمست فيه أن اجابته الوحيدة على كل ما يوجه إليه من كلام هو : مش عايز حاجة.... وكان يعبر بهذه الاجابة عن اكتفائه بالنعمة التى كان متمتعاً بها ولا حاجة له إلى شىء آخر.

ومرة جاء اليه اخاه القمص عبد المسيح يقول اختنا « الأم ثيؤبستا ».. تنيحت... تعال إلى

دار الضيافة لتتقبل التعزية من الالباء، فاجابه على الفور « مش عايز حاجة... مش عايز حاجة... روح أنت خد العزاء أنا مش عايز حاجة.

٤ - أبونا القمص متياس البرموسى : كان من الرهبان الذين يحضرهم المطران الانبا يوانس الى الاسكندرية للتزود بالعلم.. وكان اشقر اللون ذو وجه ملائكى هادئ يحب الصلاة بلجاجة.. وكان مهتماً بالكتب الكنسية ينسخها ويجدها وهو عم القمص صموئيل ثابت بأمريكا.

٥ - أبونا القمص باخوم البرموسى : كان شيخا قديسا - يخدم نفسه رغم شيخوخته وضعف بصره.. ويقضى وقت فراغه فى النسخ وتجليد الكتب وحفظها بالكنيسة.

٦ - الراهب المتوحد القمص مينا البرموسى : كان فى العقد الرابع من عمره.. وقد حضر الى الدير من المغاره التى كان يقيم بها ووقف منفردا فى الهيكل وقت القداس الالهى... واذا كنت أعرفه من الاسكندرية... سلمت عليه واستأذنته فى الاعتراف والحل... وكان يدقق معى فيما أقول.. وبعد الصلاة استأذنته لزيارته بالمغاره التى يسكنها غرب الدير.. فأذن لى.



وبعد يومين توجهت إليه عصرا بصحبة القمص صموئيل السرياني... ولما وصلنا إلى المغارة وجدنا لها مدخلاً واحداً... عبارة عن طاقة في اعلاها... ولما نادينا عليه برفق فتح الطاقة وقدم لنا سلماً صغيراً فنزلنا عليه إلى المغارة... وكان جوها جميلاً، ومفروشاً بحصير نظيف وفي ركنها بعض الكتب ووسادة وضطاء... جلس ثلاثتنا صامتين هادئين فترة... ثم سأل كل منا الآخر عن أحواله... وكان هو بطبعه قليل الكلام... ولكن الذي ملك علينا هو رهبة المكان وهدوؤه.... وكان روح المكان تتكلم أكثر من ساكنها.

واذ كنا نعلم من أقوال الآباء «إذا دخلت قلالية راهب لزيارته فلا تجلس معه طويلاً، لهذا استأذنتنا في الانصراف فقدم لنا السلم الصغير فصعدنا عليه وصعد ليودعنا

بعد هذه العشرة أيام السعيدة التي قضيتها بدير البرموس بين بركات القداسات الالهية وصلوات المساء والأحاديث العزبة مع الآباء الشيوخ والقديسين من الرهبان. بعد هذه الفترة القصيرة.. هبت على الدير عاصفة من الازعاج أطاحت بالهدوء والسكينة التي ينعم بها... إذ حضر إلى الدير المطران الانبا يوانس ومعه مجموعة من خدامه وأولادهم والأصدقاء المقربين.... وعلمت أن مدة الزيارة أسبوعين وهي فترة صوم السيدة العذراء... وشرع الرهبان الصغار في مجاملة ضيوفهم.. الخ واذ كانت اجازتي انتهت عدت إلى مقر عملي بسلام...

أثر الزيارة على فكرة الرهبنة :

أثناء هذه الزيارة، التقيت براهب غير أمين في حياته الرهبانية في الدير.... ولم أكن أعلم ذلك.... وصار بكل وسيلة يحاول اقناعي بعدم سلامة طريق الرهبنة وأنه لا فائدة منها.... وأن الذين سلكوها... وهو أولهم صاروا نادمين، ولكن بلا قدرة على العودة.

هذا الكلام وجد له مكاناً في رأسي لأنني لم أكن قد وصلت بعد إلى درجة النضج الذي يضع الأمور في موضعها الطبيعي.... ثم لأنه صادر عن راهب قديم.

ربطت هذا بكلام أبونا عبد المخلص عن العنب... «أهو كله عنب»

خرجت من الدير وقد انطقت حرارة الرغبة في الرهبنة. كما صار أيضاً الزواج بالنسبة لي

أمرأ زهيدا وعشت بشعور: «فلا عنك اقصار ولا فيك مطمع»

استئناف العمل والخدمة :

عدت إلى عملي واستأنفت به بنشاط وكذا خدمتي الروحية.... وكان ذهني قد خلا من فكرة الرهبنة كما لم أكن مقتنعا بالزواج... ولهذا كان انتاجي مضاعفا في كلا النوعين.

بالنسبة لخدمتي الروحية فقد ازدادت في عدة أماكن وبلاد وخاصة في مدينة الاسكندرية، ورأى الناس في شابا يميل إلى الروحانيات ومتحمسا في كلامه، بل ويبدي رأيه بصراحة ووضوح فيما اعوج من الأمور..... فأحبوني.

حدث فذ في حياتي :

ومرة أقامت جمعية أصدقاء الكتاب المقدس بالاسكندرية، أسبوع نهضة روحية، وكان المتكلمون الارشيدياكون اسكندر حنا والارشيدياكون عياد عياد وهما قطبا الوعظ في ذلك الوقت ثم اضافت الجمعية اسمي كمتكلم ثالث في هذه النهضة... بيني وبين نفسي فرحت جدا لأن الله وضعني في هذه الصورة الكريمة التي هي أعلى مني ولكني في نفس الوقت



احسست بالرهبة الشديدة... ولهذا سكبت نفسي بانسحاق تام أمام الله وبسطت قلبي ليملاه الله بروحه... وقد تحقق أملى وتمت الخدمة بنجاح... فشكراً لله.

تزامن المتاعب مع اتساع الخدمة :

فى الوقت الذى اتسعت فيه مساحة الخدمة، وبدأ الناس يفرحون ويتكلمون عن هذه الصورة الجديدة... فى هذا الوقت بدأت أيضاً المتاعب تطل برأسها كالافعى على موقع الوظيفة، ومع الاسف كان بعض الزملاء من الموظفين المسيحيين يتندرون بكلام فارغ للتسلية أو للسخرية.

لم تكن الكنائس - مع الاسف - فى هذه الحقبة وما قبلها... موقعاً خصباً لرسالة الانجيل... وكانت أبوابها لا تفتح إلا لقداسى الأحد والجمعة وفى أغلب البلاد للأحد فقط.. ثم يغلقها خادم الكنيسة ويذهب إلى بيته ومعه المفاتيح.

أما باقى الخدمات مثل مدارس الأحد أو إجتماعات للوعظ ودرس الكتاب فلم يكن لها موقع، ولا معترف بها من إدارة الكنيسة.

وبسبب هذا نشطت الجمعيات التى فتحت أبوابها لمدارس الأحد أو الخدمات الروحية. ولهذا تأسس بدمنهور فى منتصف الثلاثينات جمعيتان هما : جمعية أصدقاء الكتاب المقدس لخدمة الشعب بالمدينة... إجتماعات وعظ للرجال والسيدات ومدارس أحد للبنين - بالإضافة إلى جمعية الإيمان بجرن أبو الريش لخدمة العمال. وكلما ازداد نمو الخدمة... ازدادت المتاعب حولها.

زواج بلا قلب :

بينما أنا غارق فى متاعب الخدمة ومتاعب الوظيفة... هجمت على أسرتى وزجت بى فى مشروع زواج.. ما كنت افكر فيه ابداً... وفعلت وبدون مقدمات وبقدرة قادر.. رأيت نفسى انساناً متزوجاً..



فى الواقع لم أكن مهياً نفسياً لهذه الحياة الجديدة، ولا ظروفى مواتيه لها، جلست أفكر فى ثلاثة أمور خطيرة.. كيف أجمع بين مسئوليات الخدمة التى نمت وترعرعت.. وبين مسئوليات الوظيفة وهى النافذة التى تطل منها المتاعب على حياتى.. ثم الحياة العائلية الهنيئة التى تنشدها شريكى كان الأمر صعباً جداً على.. بل فوق طاقتى.

زاد على هذا أن عهدى إلى بعمل جديد شاق... كلفنى السهر لمدة ستة شهور حتى منتصف الليل... كل هذا فى بدء حياتى العائلية الجديدة.

ماذا أفعل ياربى ... لتكن مشيئتك..

جلس معى أحد الزملاء ينصحنى بالابتعاد عن الخدمة، والا فالأمر خطير بالنسبة لى... قلت وأى نوع من الخطورة!... قال النقل إلى بلدة صغيرة ثم متابعتك بالجزاءات.

لا أخفى أنى ارتعت من هذا التهديد.. وقلت هل توجد قلوب نزعّت منها الرحمة ترضى بهذا... فأجاب نعم... وأضاف بأن مذكرة النقل كتبت ومتوقفه على رأيك... تقبل التنحى عن الخدمة أو لا تقبل.

كان الأمر صعباً على بل وفوق طاقتى.... سلمت أمرى لله وقلت لصاحبى ليفعلوا ما يشاءون.... أما أنا فبين يدي الله.

ضاق الامر وضاع المهرب..

لم انقل مرة واحده بل خمس مرات على مدى عشر سنوات من ١٩٣٧ حتى ١٩٤٧، وفى كل مرة كان يسبقنى خطاب سرى لمراقبتى.

ومرة بعد وصولى إلى بلد ما... جاء ضابط النقطة بدعوى السلام على الموظف الجديد، وكان شخصاً متديناً... وبعد السلام دخل معى فى حديث عن «ألوهية المسيح» وكيف يقبلها العقل؟.. فشرحتها له من القرآن والانجيل ثم عاد يسأل ألم تكن العذراء وارثه للخطية مثل سائر البشر... فكيف يسمح الله بحلول كلمته فيها؟.. فشرحتها له أيضاً من القرآن ومن الانجيل.

وبعد هذه المناقشة المقبضة.. صمت.. ثم سلم وانصرف دون أى تعليق.

كان الحصار حولي شديداً والعيون تراقبني، وصورتى هى صورة متهم تحت المراقبة..

الفجر يلوح :

كانت مدينة الاسكندرية « حيث نشأت وتربيت » هى المنفذ الوحيد أمامي، فأتسع نطاق خدمتى بها.. والاباء الكهنة يدعوننى لخدمة الوعظ بالكنائس يوم الجمعة. وكنت ألبى الدعوة بفرح لأن هذا هو السبيل لاستمرار نموى.

وفى بداية عام ١٩٤٧، إذ اشتدت وطأة الضيق الوظيفى بدأ الفجر يلوح.

الدعوة للكهنة :

فى الواقع كان اتجاه خدمتى بالأكثر يميل نحو كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل وشعبها بحى غربال. وهذا راجع إلى الجذور القديمة للخدمة فى هذا الحى فى العشرينات، حين كان يقدم لنا « العم سعد » غرفة فسيحة بمسكنه بشارع شجرة الدركنا نجتمع فيها ثلاث مرات فى الاسبوع بجانب خدمة مدارس الاحد....

والعجيب فى العم سعد هذا أنه كان انساناً بسيطاً لا يملك الا هذا المنزل المكون من الغرفة المظلة على الشارع وغرفتان من الداخل كان يسكنها مع أسرته.... وكنا نحاول أن نقدم له شيئاً كإيجار الغرفة، فكان يعتذر بنفس شعبانه وغذيه بالمسيح.

واذ كان 90% من مساكن هذا الحى من الاكشاك الصفيح يسكنها الاخوة المسيحيين من عمال البناء... لهذا كان اجتماع « عم سعد » - كما كانت شهرته - ناجحاً.... وكانت المدائح والترانيم باللهجة الصعيدية، تنشد بقوة وفرح.... وأذكر أن كان من بين خدام هذا الاجتماع الأخ « حنا مجلى » شقيق المتنيح القمص يوسف مجلى.

إلى هنا ارفع عينى إلى السماء وأقول ما أبعد أحكامك يا رب عن الفحص... من كان يدرى أن هذه الاكشاك من الصفيح تصير عمارات عامرة... وأن هؤلاء العمال يكونون عائلات مباركة وأن

اجتماعهم سعد ، يصير كنيسة وأن هذا الخادم الصغير يصير كاهنا لهذه الكنيسة..

ملاحظة :

كان التقليد المتبع في ذلك الوقت أن المجلس الملي والجمعية الممثلة لحي الكنيسة يقومان بترشيح وتزكية الشخص المدعو للكهنوت لدى الاب بطريرك. وكانت هذه التزكية تتم بعد فحص دقيق على مدى شهور طويلة. وكان بعض أعضاء المجلس الملي المختصين بشئون الكنائس يحضرون إلى الكنيسة ليفحصوا عظات المرشح للكهنوت.... وأيضا أسرته ثم سلوكه في المجتمع والوظيفة... الخ

وما كان أحد يجسر أن يصل إلى الاب بطريرك الا من هذا السبيل...

صورة خطاب التزكية المقدم للأب بطريرك

١٩٤٧/٤/٢١

حضرة صاحب الفبطة البابا المعظم الانبا يوسف الثاني بابا وبطريرك الكرازة المرقسية.



اقبل يديكم وانحنى عند مرطىء قدمي الرب يسوع المسيح
السالك فيكم، واستمد من غبطتكم صالح الدعوات. امد الله في
حياتكم ومعتنا بطفلكم ورضائكم وابقائكم زخرا للكنيسة وشعبها.

وبعد فاني اتشرف بان ارفع لغبطتكم قرار المجلس الملي
الصادر بتاريخ ١٨ ابريل سنة ١٩٤٧ الذي يتضمن المرافقة
على رسالة حضرة النحاس صهي افندي مدير اعيال الكنيسة
رئيس الملائكة ميخائيل وهي غربال بالاسكندرية.

وقد صدر هذا القرار بعد تزكية حضرته من مجلس إدارة جمعية اليقظة والنهضة
الروحية القائمة بشئون هذه الكنيسة وبعد تزكية من شعب غربال بصفة خاصة وشعب
الاسكندرية بصفة عامة. وبعد أن تحقق المجلس من ثقافته العالية وتعمقه في دراسة
الكتاب المقدس وأهليته لرعاية الشعب الذي قام بخدمته منذ أكثر من عشرين عاماً
وتكريس كل وقته للنهوض بالأعمال الروحية.

وللمجلس الملى الثقة بأن غبطتكم ستباركون هذه التزكيات بتسريفتكم. مدينة
الاسكندرية ومنهكم البركات الروحية لشعبها، وتنصيب ابنكم المبارك صهي أفندي بعد
راعي للكنيسة.

أما إذا لم تسمع ظروف غبطتكم بالتسريف فهو التكرم بانتداب أحد حضرات أصحاب
النيابة المطارنة للقيام بالمراسم اللازمة التي حدد المجلس لها يوم الأحد ٤ مايو ١٩٤٧
بمسيئة الله تعالى. مع التنازل باخطارنا قبل هذا التاريخ بميعاد كاف ليتمكن المجلس
من عمل الترتيبات اللازمة.

وتنازلوا غبطتكم بقبول خضوعي واحترامي.

سكرتير المجلس المحلي
ورئيس جمعية اليقظة والنهضة الروحية
أسعد ميلاد المحامي

اتمام الرسامة يوم عيد استشهاد القديس مرقس الرسول :

وصل هذا الخطاب إلى قداسة البابا الانبا يوساب الثانى، فطلب حضورى مع مجموعة من المهتمين بشئون الكنيسة، فسافرنا إلى القاهرة واجتمعنا بقداسته، ثم بدأ الحديث بالسؤال عن ابنائه شعب الاسكندرية واحوال الكنائس والاباء الكهنة.... الخ ثم عتب على الاستاذ أسعد ميلاد سكرتير المجلس الملى لعدم حضوره إلى الدار البطريركية عند مجيئه أو مجيء أخوانه من أعضاء المجلس الملى إلى القاهرة.

ثم وجه أسئلة تبحث عن شخصى، وهل توجد معارضة من بعض أفراد الشعب.. وبعد أن اطمأن على ما يريده وعد بالحضور للاحتفال بعيد القديس مارمرقس الرسول وأيضاً اتمام الرسامة. وإذ كانت هذه هى أول زيارة لقداسته بعد تنصيبه بطريركياً.... لهذا كان استقباله مشرفاً.



تعظم نفسى الرب وتبتهج روحى بالله مخلصى :

فى صبيحة يوم الخميس الموافق ٣٠ برموده ١٦٦٢ - ٨ مايو ١٩٤٧ الذى هو عيد استشهاد القديس مرقس الرسول.... وفى الكنيسة المرقسية الكبرى وأثناء القداس الالهى تمت رسامتى بيد قداسة **البابا يوساب الثانى** وشركة نيافة الانبا توماس مطران الغربية والبحيرة والانبا ديمتريوس مطران المنوفية والقمص يوسف مجلى كاهن الكنيسة المرقسية والقمص باسيليوس اسحق كاهن كنيسة الملاك ميخائيل.. وباقى الآباء الكهنة وحضور أعضاء المجلس الملى الاسكندرى يتقدمهم فؤاد ابراهيم جرجس باشا وكيل المجلس الملى والأستاذ أسعد ميلاد المحامى سكرتير المجلس والمربى الفاضل اسكندر ابراهيم يوسف ورجل الاعمال منصور قلاده انطون والأرخن توفيق عبده غبريال رئيس جمعية التوفيق القبطية ثم أعضاء جمعية اليقظة والنهضة الروحية يتقدمهم المقدس سعيد عبد الملاك... ثم جمع كبير من شعب الاسكندرية.

ملاحظة :

وبهذه المناسبة اسجل اذ لم يكن بمدينة الاسكندرية سوى وكيل البطريركية ومعه سبعة كهنة يخدمون فى ست كنائس هى : المرقسية والمدافن وأبو قير ومحرم بك وغيط العنب وغربال وليس شئ غير هذا..

وجدير بالذكر أنه كان يوجد بجانب هذه الكنائس جمعيات كثيرة يخدم بها أعضاء متميزون بالغيرة المقدسة والفضيلة «كما يأتى ذكرها فيما بعد» وكانت خدمتها قائمة على الرسالة الروحية والاجتماعية والتعليمية. والىها يرجع الفضل فى المزيد من الكنائس... كما كانت رائدة رأى العام فى مدينة الاسكندرية.

لكن مع الاسف الشديد لما وضعت تحت سيطرة وزارة الشؤون الاجتماعية فقدت حرية الرأى والحركة وصارت مثل واحدة من المصالح الحكومية.

الخدمة الروحية :



كل الحمد والشكر لك يارب.. لقد تخلصت من متاعب الوظيفة، وصارت لي الحرية المطلقة للخدمة كما أحب... فماذا يمنع من العمل؟.. كان الشعب طيباً جداً ومستجيباً لكل نداء ومنذ اللحظة الاولى تكونت الصداقه والثقة بيننا.

لقد كان النداء الأول أو الدرس الأول هو « بالهدوء والنظام ننال بركة الله » وقليلًا قليلًا تدرب الشعب على العبادة بهدوء وخشوع كما خصص مساء كل أحد لإجتماع وعظ.... وكانت نهضة روحية مستمرة فرح لها كل الشعب. ثم عشت مع الشعب في الافتقاد اليومي صباحاً ومساءً، فزاد هذا أيضاً من فرح الشعب. أما اقبال الشعب على الكنيسة فكان قوياً ومقترنا بتعزية وافرة.

نظرة مستقبلية :

كانت مباني الكنيسة بسيطة ومؤقتة، وكان لابد من تجديدها، ولكن كيف تجدد مع استمرار الصلاة.

فكرت في شراء الارض الفضاء المقابلة للكنيسة وكانت مساحتها كبيرة تزيد على 8000 متر مربع وكانت تكفي لبناء كنيسة كبيرة تستوعب الشعب الذي يزيد عدده عن عشرين الف نسمة.... وأيضاً إقامة مشروعات إجتماعية مكمله لرسالة الكنيسة....

واذ كانت الكنيسة مرتبطة بالجمعية، لهذا كان يمكن اتخاذ قرارات جريئة وسريعة، وبهذا كان الامل واسعاً لتحقيق المشروعات النافعة، ولكن مع الاسف الشديد، ونحن في هذا الخيال أو الامانى العزيزة.. إذ بالايدي القاسية تمتد وتفصل الكنيسة عن الجمعية وتضمها إلى البطيركية.

لم يكن هناك اعتراض على هذا التصرف لو أن الامور كانت تسير في البطيركية بعيده عن

الروتين البطيء.. ولا أدل على هذا من أن جميع كنائس الاسكندرية ومشروعاتها الخيرية قام
بها الشعب بقيادة الجمعيات.

اثار موضوع ضم كنيسة الملاك الى البطريركية ضيقاً شديداً وحساسية بين الشعب
والجمعية من جهة وبين البطريركية والمجلس الملى من جهة أخرى. لأن الشعب والجمعية كانا
يحبان الكنيسة ويودان النهوض بها وإيجاد مشروعات نافعة، متمثلين في هذا بالقمص
جرجس بطرس وجمعية الايمان وكنيسة مار جرجس بجزيرة بدران.

وأمام هذا الشعور تجمدت الكنيسة وأيضاً مشروعاتها. لأن كل مشروع كان يلزمه قرارات مالية
ورضى البطريركية.. ولم يكن هذا.. مع الاسف.. موجوداً.

أما أنا فقد غرقت في أحزاني لأن قلبي كان مع الشعب.



مشروع كنيسة العذراء والقديس يوسف بسموحة

حبة الخردل أو من الجافى خرجت حلاوة :

كنت ذات امسيه فى ربيع عام ١٩٥٠ ، ازور صديقاً قديماً هو الاستاذ عزيز انطونيوس بقطر العضو بجمعية الكتاب المقدس والموظف بشركة فورد بالاسكندرية، وهو انسان غيور ومحب لعمل الله... وأثناء الحديث بدر منه تلميح عن شخص محب للمسيح فى القاهرة.... هوايته أن يأتى إلى حى شعبى ليست به كنيسة فيؤسس جمعية ويشترى أرضاً ثم يقوم ببنائها وبمجرد بدء الصلاة بها.. ينتقل إلى حى آخر ويمارس العمل... وهكذا...

لقطت هذا التلميح وحوّلته إلى نفسى وخرجت وعندى رغبة أكيدة فى ممارسة عمل مثل هذا.. لكن أين؟.. وكيف؟.. لا أعلم.

اختيار المكان :

جلست افكر.... فتبين لى أن المساحة الطويلة بين الكنيسة المرقسية وكنيسة مارمينا بظلمنج ليس بها كنيسة... وان حى كليوباترا يقع فى منتصف المسافة.

خرجت اتجول فى حى كليوباترا، فوق نظرى على قطعة ارض مساحتها ٦٠٠ ذراع بشارع.... ولم ترق فى نظرى لأن الشارع كان ضيقاً.

ثم تحولت إلى جمعية السلام بشارع الجمال وقابلت الست لندا صاحبة المكان ورئيسة الجمعية... وبعد التفاهم اتضح أيضاً عدم سلامة الفكرة.

ثم تطلعت إلى أرض فسيحة وجميلة جداً تقع بين شارع بورسعيد وقرام الرمل وهى مملوكة للراهبات الفرنسيسكان ومعرضة للبيع... ولكنى وجدت أن الأمر فوق طاقتى اذ كنت حديث العهد بالكهنوت ولم أكتسب بعد ثقة جمهور الاسكندرية «طبعاً حكمة جسدية»

وفى نفس الوقت لم أكن أجسر على عرض الفكرة على المسئولين بالبطريركية لأن احتمالات الرفض أقرب من القبول. مع أنه لو كانت هناك هيئة تخطط وتشجع، وامكننا

الحصول على هذه الأرض.. لكنت بركة كبيرة..

شراء الأرض :

وأخيراً اذ تعبت من التجوال من التاسعة صباحاً حتى الواحد.. فكرت في الذهاب إلى شارع أبو قير لأخذ الاتوبيس إلى مسكني بمحرم بك.

واذ وصلت إلى كوبري كليوباترا ووقفت متعباً، سألت ماذا وراء هذا الكوبري؟.... فقيل لي أنها أرض سموحة... واذ كنت ارهقت من المشي، تحاملت على نفسي واتجهت نحو الكوبري وعبرته ودخلت في أرض سموحة، فلم أجد بها احداً... إلا صندوق أخضر لبيع القازوزه... ثم أرضاً شاسعة نحو ٤٠٠ فدان مزروعة موز وخضروات.

لسهولة التحدث مع صاحب الصندوق والجلوس على كرسيه، اشتريت منه زجاجة قازوزه بقرش صاغ.. وأخيراً علمت أن الأرض مملوكة للخواجة يوسف سموحه ومكتب البيع في عمق الأرض.. شكرته وعدت إلى المنزل، ولكن قلبي تعلق بهذه المنطقة.

في اليوم التالي توجهت إلى إدارة سموحة وقابلت الوكيل مسيو Daniel Delburg وهو يهودي من أصل يمني... وتفاهمت معه على شراء قطعة أرض والغرض منها، فأحضر الخرائط يحملها الأخ أنيس سعد وقد توضح على كل قطعة مساحتها.... وعند التفاهم على الثمن قال أن سعر المتر على الشوارع الرئيسية هو ٤ جنيه وعلى الشوارع الجانبية ٢ جنيه. فقلت في نفسي أننا بنفس المبلغ الذي نشترى به على الشارع رئيسي، يمكننا أن نشترى ضعفه على الشارع الجانبى.

كما قلت أيضاً أن من الأفضل أن نشترى أقرب قطعة أرض للكوبرى، وذلك لسهولة المواصلات. فوقع اختياري على قطعة الأرض الحالية وكانت مساحتها ١١٠٠ متراً مربعاً.

وعند التفاهم على الثمن. لم يتعبنى الرجل. بل بكل بساطة قال : طالما أن هذه الأرض هي لعمل الله. فلك خصم ٥٠٪. فشكرت الله وقبلت الوضع. وتحدد الثمن الاجمالي بمبلغ ١١٠٠ جنيه.

فى ذاك الوقت لم تكن نمتلك شيئاً... ولكن بمعونة الله فى وقت وجيز جمع مبلغ ٥٠٠ جنية ودفع العربون والباقى قسط على ثلاثة أقساط سنوية. كان هذا فى يوليو ١٩٥٠.

ثم شرعنا فى جمع التبرعات، وما أن وصلنا إلى شهر ديسمبر من نفس السنة حتى كان معنا ١٠٠٠ جنية + قطعة ارض ١١٠٠ م + الرسومات المعمارية.

الشروع فى البناء :

تقدمنا بهذه الحصيلة إلى البطريركية والمجلس الملى « ونظراً لتكرار هاتين الهيئتين ساكتفى بالاشارة إليها بحرفى «بم» لإعتماد الرسومات وطرح المبنى فى مناقصة.

والى هنا اقف جامداً مبهوراً لا ادرى ماذا اكتب، ولعدم الاطالة فى شرح المأساة اكتفى بالاشارة إلى أننا ظللنا نلف وندور فى محاولات ومناقشات ومكاتبات ما انزل الله بهما من سلطان... فلا ال «بم» توافق ولا نحن تكف عن السعى... وكانت ضيقة مرة وليال قاتمة السواد عشناها فى الغم والهم والدموع من ديسمبر ١٩٥٠ حتى مارس ١٩٥٥، وفى شهر ابريل ١٩٥٥ بدأنا البناء بصفة سرية بدون علم ال «بم» واكمل البناء فى مارس ١٩٥٦ «الطابق الارضى»

تكريس الكنيسة وبدء الصلاة :

فى مساء السبت المبارك ٣١ مارس ١٩٥٦ الموافق وكانت عشية الاحد الثالث من الصوم الكبير، وقد امتلأت الكنيسة وفنائها بجموع الشعب، الذى لا أعلم من أين اتى ولا كيف علم، لأننا لم نعلن لا فى الجرائد ولا فى الكنائس.

وفى نحو الساعة السابعة مساء اقبل نيافة الحبر الجليل : الانبا ميخائيل مطران أسيوط هل بوجه المشرق تعلوه ابتسامة البهجة، ودخل الكنيسة وبدأت الصلاة وتم تكريس المذبح والاوانى وبعض الايقونات.

فى هذا الوقت غبت عن نفسى بل عن الوجود، وكأن الدنيا



كلها جمعت في هذا المكان والعمر كله انحصر في هذه اللحظة. ولم ادري كيف اتكلم او كيف اتصرف.

وكان مشروع الكنيسة الى ذاك الوقت معروفاً باسم «كنيسة القديس يوسف» ولكن نيافة ابينا المطران عند التكريس نطق هكذا «كنيسة الله الارثوذكسية برسم القديسة مريم العذراء والقديس يوسف البار».

وجلس الاب المطران والاباء الكهنة والشمامسة والشعب. ثم القيت كلمة كانت عصارة روحي وقلبي ودمي وكان موضوعها قول المرنم في مز ١٢٥

«الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالابتهاج»

وفي صباح الاحد اقيم القداس الالهى في حفل روحي مهيب يجمع بين الفرح والرهبة. ورأس الصلاة نيافة ابينا المطران الانبا ميخائيل واشترك بعض الالباء الكهنة.



وأثناء القداس الالهى منحني رتبة « قمص » على كنيسة العذراء مريم والقديس يوسف البار.

وبعد قراءة الانجيل قدم نيافة ابينا المطران العظة عن « الابن الضال » وللذكرى اقول ان روح الله كان يرف على الكنيسة، وقد ملأت الفرحة والتعزية كل القلوب وصار كل انسان يسجد بقلبه امام الله من أجل كثرة احساناته.

فليتمجد اسم الرب. وليكن اسم الرب مباركا إلى الابد امين.

من عام ١٩٥٦ حتى عام ١٩٦٢

شراء كامل مساحة الأرض المحيطة بالكنيسة :

لقد ساندت ذراع الله القوى. الكنيسة في مسيرتها، وبكل هدوء ومحبة كان العمل يسير وينمو والرب يبارك. حتى جاء عام ١٩٦١ وكنا نعمل صيانة لسطح الكنيسة... وصعدت إلى السطح وتكلمت مع العمال، ثم وقفت أتأمل المسافة التي بين مبنى الكنيسة وبين الشارعين المحيطين بها. وقلت في نفسي لوجاء مشتر لهذه الأرض فانه يبني الواجهه على الشارع وأما المطابخ فستظل من الخلف على مبنى الكنيسة. وفي هذه المطابخ سيدار الراديو بصوت عال للتسلية، بينما نكون نحن في الصلاة، وهذه مشكلة قد تتكرر أثناء كل قداس... يضاف إلى هذا حاجة الشعب إلى مبنى للخدمات في أرض ملاصقة للكنيسة.

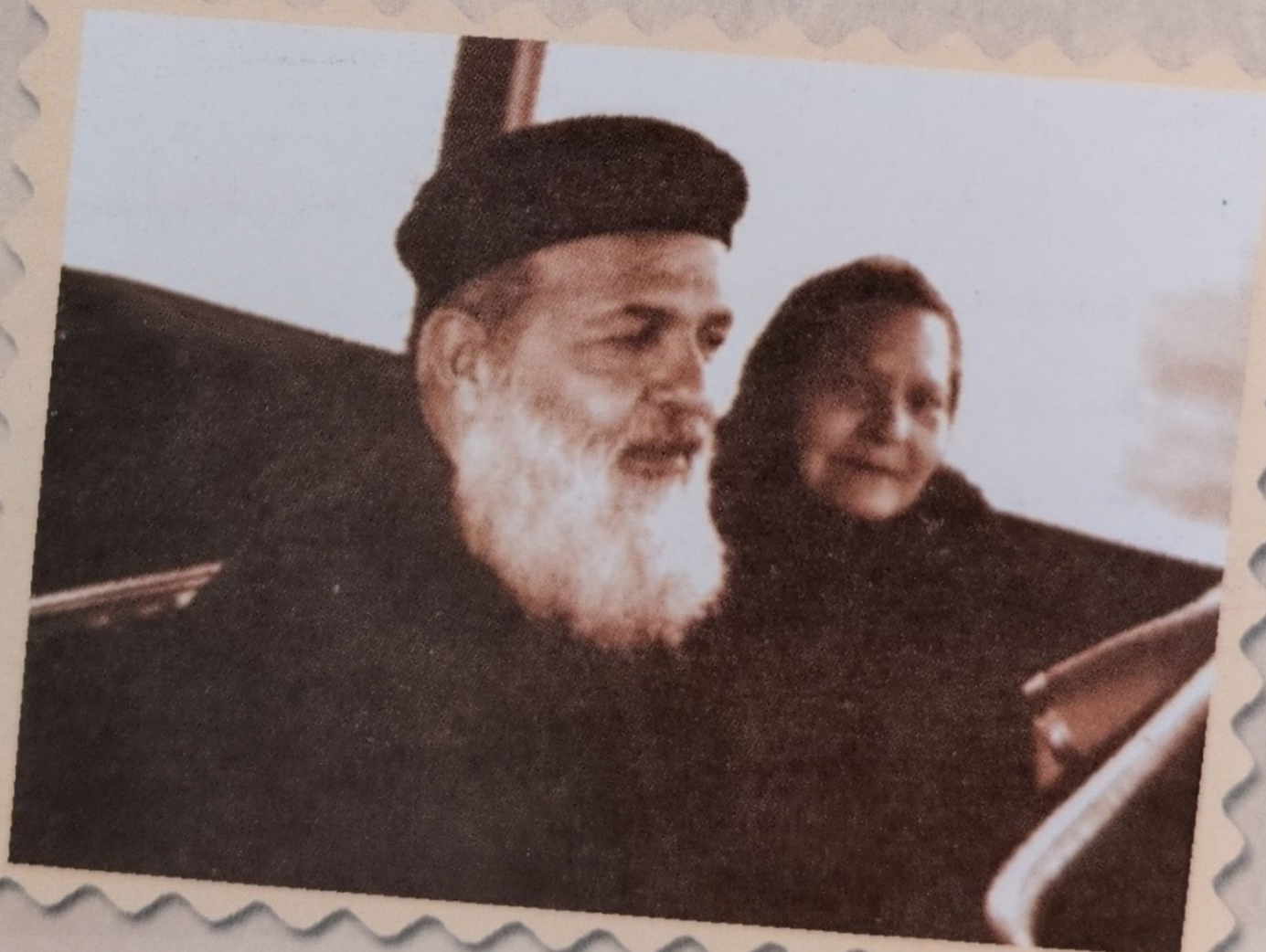
هذه الافكار وغيرها دارت في فكري وانتهت بضرورة شراء كامل مساحة الأرض المحيطة بالكنيسة، ولكي يمتد عمرانها إلى الشارعين المحيطين بها.

في هذا الوقت كانت أرض سموحة موضوعة تحت الحراسة بسبب الضرائب المستحقة عليها للدولة... فقدمنا طلب الشراء إلى الحراسة... وبعد شهور انتقلت الوصاية إلى مصلحة الضرائب صاحبة الدين. وتقدمنا إليها بطلب جديد وطرحت الأرض في المزاد ورسا المزاد علينا وسددنا الـ ١٠٪ ثم الـ ١٥٪ من الثمن.

ثم انتظرنا قرار سداد باقى الثمن على أقساط؛ حسب عادة الدولة فى بيع اراضيها. ولكننا فوجئنا بطلب سداد الباقي فوراً. والا فإن الارض ستطرح فى المزاد من جديد، وإذا كان السعر الجديد اقل من السعر الحالى فإن فرق الثمن سيخصم من التأمين المسدد منا.

اسقط الأمر فى ايدينا وحاولت اقناع مصلحة الضرائب بالتقسيط المستحق فلم تقبل. كانت المدة المحددة لسداد مبلغ ٨٠٠٠ جنيهه هى ثلاثة أسابيع، والوقت لا يتسع لجمع تبرعات فأرشدتنا عناية الله إلى طلب قروض من الشعب تسدد فيما بعد من إيرادات الكنيسة. وفعلاً اذعنا بيان على الشعب وبعد اذاعة هذا البيان، أقبل الشعب بروح عالية وغطوا هذا الثمن سواء بقروض أو تبرعات. وقبل الميعاد بثلاثة أيام قدم المبلغ بأكمله إلى مصلحة الضرائب ثم حررت لنا مصلحة الضرائب خطاباً اثبتت فيه رسو المزاد علينا.... ثم تم التصديق على محضر رسو المزاد بالشهر العقارى وبهذا تمجدت مشيئة الله باضافة هذه المساحة وقدرها ٣٥٤٤.٩٤ متراً مربعاً، إلى المساحة السابقة شراؤها وقدرها ١٢٨٦.٤٣ متراً مربعاً.

وبهذا تكون كامل مساحة ارض الكنيسة ٤٨٣١.٣٧ متراً مربعاً. والحمد لله أولاً وآخراً



خدمتى بالكنيسة المرقسية (١٩٦٢ - ١٩٦٨) :



ما كدنا نفرح لخروجنا ظافرين
لصفقة الارض الجديدة... وبينما
نحن ماضون فى مسئولية سداد
القروض التى قدمها الشعب الوفى.
حتى تم إنتدابى للخدمة
بالكنيسة المرقسية بناء على
قرار المتنيج البابا كيرلس
السادس. وأمضيت ست سنوات
خادماً بالكنيسة المرقسية.
وأخيراً ... عدت إلى كنيستى
فى صوم الرسل عام ١٩٦٨.

العودة إلى الكنيسة وبناء الدور العلوى للكنيسة :

عند عودتى إلى الكنيسة وجدت أن مبنى الدور الارضى باق كما هو ولا يعلوه شيئاً.
شرعنا فى بناء الدور العلوى بعد التأكد من كل الضمانات الانشائية التى تؤكد سلامة
العمل. وهذا ما أكدته الوثيقة الموقع عليها من المهندسين الكبار : جورج ونيس سعد الاعسر،
سامى توفيق غبريال ثم وليم رياض. وثلاثتهم من المهندسين الكبار المعروفين
بالاسكندرية، ثم لمزيد من التأكيد، أضيف إلى هذه الوثيقة تقرير مفصل من الاستاذ
الدكتور ميلاد حنا رئيس قسم الهندسة الانشائية بجامعة عين شمس. وهذه الاوراق محفوظة
بالملف الخاص بارشيف الكنيسة.

المهندس جورج ونيس الاعسر:

وهنا نذكر بكل وفاء وتقدير ما بذله المهندس الكبير جورج ونيس سعد الاعسر ابن أخى، من جهد كبير سواء فى التصميم أو التنفيذ حتى ظهرت هذه الكنيسة كما تبدو جميلة ورائعة.

اتمام العمل:

ثم عهد إلى أحد المهندسين المقاولين بالتعليق وسار العمل بهدوء وقوة مع فن أصيل، وانتهينا من هذا الطابق العلوى فى أواخر عام ١٩٧٧ ... وكان يمكن أن ننتهى من هذا المشوار المضى قبل هذا بستة عشر عاما إذا كفت الجبهة الداخلية عن مضايقتنا بالصعاب المقتعلة.



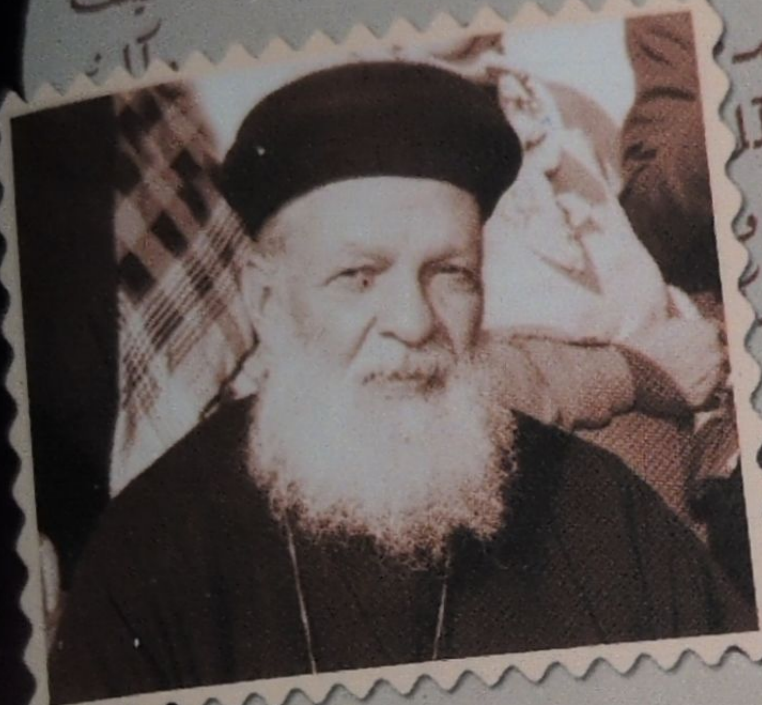
بدء الصلاة :

وفى ليلة أول يناير ١٩٧٨ بناء على انتداب **قداسة البابا شنودة** حضر الآباء الاساقفة نيافة الانبا هدى أسقف أسوان ونيافة الانبا ويصا أسقف البليتا ونيافة الانبا برسوم الأسقف العام، وفى موكب روحى مهيب يشمله الوقار والفرح حمل الآباء الاساقفة اللوح المقدس والأواني المقدسة من الطابق الأرضى إلى الطابق العلوى ومعهم الآباء الكهنة والأخوة الشماسة يرتلون لحن (إفلوجيمينوس) والشعب من الجانبين يعبرون عن فرحهم كل بأسلوبه الخاص. وصلينا العشية ثم القيت كلمات مناسبة، وفى صبيحة يوم الأحد أول يناير ١٩٧٨ صلينا القداس الإلهى.

والحمد لله.



أذكر هذه الحقبة الجميلة من حياتي من سن ١٨ - ٣٨. أذكرها بمرارة بالغة.. كيف
وهي زهرة العمر تضيع في وظيفة بالية... بدأت خدم
العمل ثقيل على نفسي لأن مهيتي للخدمة كانت كلاً
وأذكر أنني توقفت مرة على السلم وأنا صاعد للعمل في
هذه الوظيفة يا رب وأنا غائب عنها بقلبي... ما أبعد أم



سألتني أبونا المطران :

هل والدك يعيش؟ ... قلت نعم ... هل والدك يعيش؟ ... قلت الله يرحمها
هل والدك تزوج بعد والدك؟ ... قلت والدي شيخ ولم يتزوج.
وبعدها قال بهزم: روح خذ بركة والدك أفضل من الرهينة.

في مساء السبت المبارك ٣١ مارس ١٩٥٦ أהל بوجه المشرق تعلوه ابتسامة
البهجة، ودخل الكنيسة وبدأت الصلاة وتم تدريس المذبح والاداني وبعض
الايقونات.

في هذا الوقت غبت عن نفسي بل عن الوجود، وكان الدنيا كلها جمعت في هذا
المكان والعمر كله انهمس في هذه اللحظة. ولم أدرى كيف أتكلم أو كيف أتصرف.

وفي ليلة أول يناير ١٩٧٨ وفي موكب روضي مهيب يشمله الوقار والفرح
حمل الآباء الاساقفة اللوح المقدس والاداني المقدسة من الطابق الأرضي إلى
الطابق العلوي والشعب من الهنانيين يعبرون عن فرحهم كل بأسلوبه
الخاص.